هذا كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم
للشيخ العالم الفاضل الامام
برهان الاسلام الزرنوجي
تلميذ صاحب الهداية
نفعنا الله بهم
أجمعين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل بنى آدم بالعلم والعمل على جميع العالم * والصلاة والسلام على محمد سيد العرب والعجم * وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم * (وبعد) فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم فى زماننا يجدون الى العلم ولا يصلون * ومن منافعه وثمراته يحرمون * لما أنهم أخطؤا طرائقه * وتركوا شرائطه * وكل من أخطأ الطريق ضل * فلا ينال المقصود قل أو جل * أردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم * على ما رأيت فى الكتب وسمعت من أساتذى أولى العلم والحكم * رجاء الدعاء لى من الراغبين فيه المخلصين * بالفوز والخلاص فى يوم الدين * بعد ما استخرت الله تعالى فيه وسميته تعليم المتعلم طريق التعلم * وجعلته فصولا

(فصل)

فى ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلا يصرفه الى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية

شعر

هى الدنيا اقل من القليل * وعاشقها أذلّ من الذليل
تصمّ بسحرها قوما وتعمى * فهم متحيرون بلا دليل

وينبغى لاهل العلم أن لا يذلّ نفسه بالطمع فى غير المطمع ويحترز عما فيه مذلة العلم وأهله ويكون متواضعا والتواضع بين التكبر والمذلة والعفة كذلك ويعرف ذلك فى كتاب الاخلاق أنشدنى الشيخ الامام الاجلّ الاستاذ ركن الاسلام المعروف بالاديب المختار رحمه الله شعرا لنفسه

انّ التواضع من خصال المتقى * وبه التقىّ الى المعالى يرتقى
ومن العجائب عجب من هو جاهل * فى حاله أهو السعيد أم الشقى
أم كيف يختم عمره أو روحه * يوم النوى متسفل أو مرتقى
والكبرياء لربنا صفة به * مخصوصة فتجنبنها واتقى

قال أبو حنيفة رحمه الله لاصحابه عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم وانما قال ذلك لئلا يستخف بالعلم وأهله وينبغى لطالب العلم أن يحصل كتاب الوصية التى كتبها أبو حنيفة ليونس بن خالد السمتى رحمة الله عليه عند الرجوع الى أهله يجده من يطلبه وقد كان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الائمة علىّ بن أبى بكر قدّس الله روحه العزيز أمرنى بكتابته عند الرجوع الى بلدى وكتبته ولا بدّ للمدرّس والمفتى فى معاملات الناس منه

(فصل فى اختيار العلم والاستاذ والشريك والثبات)

ينبغى لطالب العلم أن يختار من كلّ علم أحسنه مما يحتاج اليه فى أمر دينه فى الحال ثم ما يحتاج اليه فى المآل ويقدم علم التوحيد

والمعرفة ويعرف الله تعالى بالدليل فان ايمان المقلد وان كان صحيحا عندنا لكن يكون آثما بترك الاستدلال ويختار العتيق دون المحدثات قالوا عليكم بالعتيق واياكم والمحدثات واياك أن تشتغل بهذا الجدل الذى ظهر بعد انقراض الاكابر من العلماء فانه يبعد الطالب عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من اشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه كذا ورد فى الحديث وأما اختيار الاستاذ فينبغى أن يختار الاعلم والاورع والاسن كما اختار أبوحنيفة حماد بن سليمان رحمه الله بعد التأمل والتفكر وقال وجدته شيخا وقورا حليما صبورا وقال ثبت عند حماد بن سليمان فنبت قال رحمه الله سمعت حكيما من حكماء سمرقند قال ان واحدا من طلبة العلم شاورنى فى طلب العلم وكان عزمه على الذهاب الى بخارى لطلب العلم وهكذا ينبغى أن يشاور فى كل أمر فان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالمشاورة فى كل الامور ولم يكن أحد افطن منه ومع ذلك أمر بالمشاورة وكان يشاور أصحابه فى جميع الامور حتى حوايج البيت قال على كرم الله وجهه ما هلك امرؤ عن مشورة قيل رجل ونصف رجل ولا شئ فالرجل من له رأى صائب ويشاور ونصف رجل من له رأى صائب ولكن لا يشاور أو يشاور ولكن لا رأى له ولا شئ من لا رأى له ولا يشاور * قال جعفر الصادق رضى الله عنه لسفيان الثورى شاور فى أمرك الذين يخشون الله تعالى وطلب العلم من أعلى الامور وأصعبها فكانت المشاورة فيه أهم وأوجب قال الحكيم اذا ذهبت الى بخارى لا تعجل فى الاختلاف الى الائمة وامكث شهرين حتى تتأمل وتختار أستاذا فانك اذا ذهبت الى عالم

(فصل في ماهية العلم والفقه وفضله)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة * اعلم بأنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وانما يفترض عليه طلب علم الحال كما يقال أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ الحال ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله في أيّ حال كان فانه لا بدّ له من الصلاة فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدّي به فرض الصلاة ويجب عليه بقدر ما يؤدّي به الواجب لانّ ما يتوسل به الى اقامة الفرض يكونُ فرضا وما يتوسل به الى اقامة الواجب يكون واجبا وكذلك في الصوم والزكاة ان كان له مال والحج ان وجب عليه وكذلك في البيوع ان كان يتجر قيل لمحمد بن الحسن رحمه الله الا تصنّف كتابا في الزهد قال صنفت كتابا في البيوع يعني الزاهد من يتحرّز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وكذلك في سائر المعاملات والحرف وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه وكذلك يفترض

عليه علم أحوال القلب من التوكل والانابة والخشية والرضاء فانه واقع في جميع الاحوال وشرف العلم لا يخفى على أحد اذ هو المختص بالانسانية لان جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الانسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشفقة وغيرها سوى العلم وبها أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له وانما شرف العلم لكونه وسيلة الى التقوى الذي يستحق به الكرامة عند الله تعالى والسعادة الابدية كما قيل لمحمد بن الحسن بن عبد الله رحمة الله عليه

تعلم فان العلم زين لاهله * وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادي الى سنن الهدى * هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

وكذلك في سائر الاخلاق نحو الجود والبخل والجبن والجراءة والتكبر والتواضع والعفة والاسراف والتقتير وغيرها فان الكبر والبخل والجبن والاسراف حرام ولا يمكن التحرز عنها الا بعلمها وعلم ما يضادها فيفترض على كل انسان علمها وقد صنف السيد الامام الاجل الشهيد ناصر الدين أبو القاسم كتابا في الاخلاق ونعم ما صنف فيجب على كل مسلم حفظها واما حفظ ما يقع في بعض الاحايين ففرض على سبيل الكفاية اذا قام به البعض في البلدة سقط عن الباقين فان لم يكن في البلدة من يقوم به اشتركوا جميعا في المأثم فيجب على الامام أن يأمرهم بذلك ويجبر أهل البلدة على ذلك فقيل بأن علم ما يقع على نفسه في جميع الاحوال بمنزلة الطعام لا بد لكل

واحد من ذلك وعلم ما يقع في بعض الاحايين بمنزلة الدواء يحتاج اليه في بعض الاوقات وعلم النجوم بمنزلة المرض فتعلمه حرام لانه يضر ولا ينفع والهرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن فينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات الدافعة للبلاء ويسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ليصونه الله تعالى عن البلاء والآفات فان من رزق الدعاء لم يحرم الاجابة فان كان البلاء مقدرا يصيبه لا محالة لكن ييسره الله عليه ويرزقه الصبر ببركة الدعاء اللهم الا اذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك وأما تعلم علم الطب فيجوز لانه سبب من الاسباب فيجوز تعلمه كسائر الاسباب وقد تداوى النبي عليه الصلاة والسلام وقد حكى عن الشافعي رحمة الله عليه أنه قال العلم علمان علم الفقه للاديان وعلم الطب للابدان وما وراء ذلك بلغة مجلس * وأما تفسير العلم فهو صفة يتجلى بها لمن قامت هي به المذكور كما هو والفقه معرفة دقائق العلم مع نوع علاج قال أبو حنيفة رحمة الله عليه الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها وقال ما العلم الا العمل به والعمل به ترك العاجل للآجل فينبغي للانسان أن لا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرها في أولاها وأخراها فيستجلب ما ينفعها ويجتنب عما يضرها كيلا يكون عقله وعلمه حجة عليه فيزداد عقوبة نعوذ بالله من سخطه وعقابه وقد ورد في مناقب العلم وفضائله آيات وأخبار صحيحة مشهورة لم نشتغل بذكرها كيلا يطول الكتاب

(فصل في النية حال التعلم)

ثم لا بدّ له من النية في زمان تعلم العلم اذ النية هي الاصل في جميع الاحوال لقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات حديث صحيح وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من عمل يتصوّر بصورة أعمال الدنيا ويصير بحسن النية من أعمال الآخرة وكم من عمل يتصوّر بصورة أعمال الآخرة ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وازالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فانّ بقاء الاسلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل وأنشد في الاستاذ الشيخ الامام الاجل برهان الدين صاحب الهداية لبعضهم

فساد كبير عالم متهتك * وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة في العالمين عظيمة * لمن بهما في دينه يتمسك

وينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن ولا ينوي به اقبال الناس اليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره قال محمد بن الحسن رحمه الله لو كان الناس كلهم عبيدي لاعتقتهم وتبرّأت عن ولائهم ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس أنشدنا الشيخ الامام الاجل الاستاذ قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسماعيل الصفار الانصاري املاء لابي حنيفة رحمه الله تعالى شعرا

من طلب العلم للمعاد * فاز بفضل من الرشاد
فيا لخسران طالبيه * لنيل فضل من العباد

اللهم الا اذا طلب الجاه للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق واعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وينبغي لطالب العلم أن يتفكر

في

وبدأت بالسبق عنده وربما لا يعجبك درسه فتتركه وتذهب الى آخر فلا يبارك لك فى التعلم فتتأمل شهرين فى اختيار الاستاذ وشاور حتى لا تحتاج الى تركه والاعراض عنه فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركا وتنتفع بعلمك كثيرا واعلم بأن الصبر والثبات أصل كبير فى جميع الامور ولكنه عزيز كما قيل

لكلٍّ الى شأو العلى حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات

قيل الشجاعة صبر ساعة فينبغى لطالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتاب حتى لا يتركه أبتر وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل ان يتقن الاول وعلى بلد حتى لا ينتقل الى بلد آخر من غير ضرورة فان ذلك كله يفرق الامور ويشغل القلب ويضيع الاوقات ويؤذى المعلم وينبغى أن يصبر عما تريد نفسه وهواه قال الشاعر

ان الهوى هو الهوان بعينه * وصريع كل هوى صريع هوان

ويصبر على المحن والبليات قيل خزائن المنى على قناطر المحن وأنشدت وقيل انه لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

ألا لا تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن مجموعها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة * وارشاد أستاذ وطول زمان

وأما اختيار الشريك فينبغى أن يختار المجد والورع وصاحب الطبع المستقيم ويفر من الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان

شعر

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فان كان ذا شر فجانبه سرعة * وان كان ذا خير فقارنه تهتدى

وأنشدت

لا تصحب الكسلان فى حالاته * كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد الى الجليد سريعة * كالجمر يوضع فى الرماد فيخمد
قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على فطرة الاسلام الا أن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث ويقال فى الحكمة بالفارسية

يار بدبد تر بود از مار بد * حق ذات پاك الله الصمد
يار بد آرد ترا سوى جحيم * يار نيكو گيرتا يابى نعيم

وقيل

ان كنت تبغى العلم من أهله * أو شاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض بأسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

(فصل فى تعظيم العلم وأهله)

اعلم بأن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الاستاذ وتوقيره قيل ما وصل من وصل الا بالحرمة وما سقط من سقط الا بترك الحرمة قيل الحرمة خير من الطاعة ألا يرى أن الانسان لا يكفر بالمعصية وانما يكفر باستخفافها وبترك الحرمة ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم * قال على كرم الله وجهه أنا عبد من علمنى حرفا واحدا ان شاء باع وان شاء أعتق وان شاء استرق وقد أنشدت فى ذلك شعرا

رأيت أحق الحق حق المعلم * وأوجبه حفظا على كل مسلم
لقد حق أن يهدى اليه كرامة * لتعليم حرف واحد ألف درهم

فان من علمك حرفا مما تحتاج اليه فى الدين فهو أبوك فى الدين وكان أستاذنا الشيخ الامام سديد الدين الشيرازى رحمه الله تعالى يقول قال مشايخنا رحمهم الله من أراد أن يكون ابنه عالما ينبغى أن يراعى الغرباء من الفقهاء ويكرمهم ويطعمهم ويعظمهم ويعطيهم شيأ

فان

فان لم يكن ابنه عالما يكون حفيده عالما ومن توقير المعلم أن لا يمشي امامه ولا يجلس مكانه ولا يبتدئ بالكلام عنده الا باذنه ولا يكثر الكلام عنده الا باذنه ولا يسأل شيأ عند ملالته ويراعي الوقت ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج فالحاصل انه يطلب رضاءه ويجتنب سخطه ويمتثل أمره في غير معصية الله تعالى ولا طاعة للمخلوق في معصية الخالق كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ان أشر الناس من يذهب دينه لدنيا غيره * ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به وكان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهداية رحمة الله عليه يحكى أن واحدا من كبار ائمة بخارى كان يجلس مجلس الدرس وكان يقوم في خلال الدرس احيانا فسألوه عن ذلك فقال ان ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكة ويجيء احيانا الى باب المسجد فاذا رأيته أقوم له تعظيما لاستاذي والقاضي الامام فخر الدين الارسابندي كان رئيس الائمة في مرو وكان السلطان يحترمه غاية الاحترام وكان يقول انما وجدت هذا المنصب بخدمة الاستاذ فاني كنت أخدم الاستاذ القاضي الامام أبا زيد الدبوسي وكنت أخدمه وأطبخ طعامه ثلاثين سنة ولا آكل منه شيأ والشيخ الامام الاجل شمس الائمة الحلواني رحمه الله قد كان خرج من بخارى وسكن في بعض القرى أياما بحادثة وقعت له وقد زاره تلاميذه غير الشيخ الامام القاضي شمس الائمة أبي بكر الزرنجي رحمه الله تعالى فقال له حين لقيه لم تزرني فقال له كنت مشغولا بخدمة الوالدة قال ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس وكان كذلك فانه كان يسكن في أكثر أوقاته في القرى ولم ينتظم له الدرس فمن تأذى منه أستاذه يحرم بركة

المعلم ولا ينتفع به الا قليلا شعر

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لا يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبها * واقنع بجهلك ان جفوت معلما

وحكي أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه الى الاصمعي ليعلمه العلم والادب فرآه يوما يتوضأ ويغسل رجله وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعاتب الاصمعي في ذلك فقال انما بعثته اليك لتعلمه وتؤدبه فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء باحدى يديه ويغسل بالاخرى رجلك * ومن تعظيم المعلم تعظيم الكتاب فينبغي لطالب العلم أن لا يأخذ الكتاب الا بالطهارة حكي عن الشيخ الامام شمس الائمة الحلواني رحمة الله عليه أنه قال انما نلت هذا العلم بالتعظيم فاني ما أخذت الكاغد الا بالطهارة والشيخ الامام شمس الائمة السرخسي رحمه الله تعالى كان مبطونا وكان يكرر في ليلة فتوضأ في تلك الليلة سبع عشرمرة لانه كان لا يكرر الا بالطهارة وهذا لان العلم نور والوضوء نور فيزداد نور العلم به ومن التعظيم الواجب أن لا يمد رجله الى الكتاب ويضع كتب التفسير فوق سائر الكتب تعظيما ولا يضع على الكتاب شيأ آخر وكان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يحكي عن شيخ من المشايخ أن فقيها كان وضع المحبرة على الكتاب فقال له بالفارسية برنيابي وكان أستاذنا القاضي الامام الاجل فخر الاسلام المعروف بقاضي خان رحمه الله تعالى يقول ان لم يرد بذلك الاستخفاف فلا بأس به والاولى أن يتحرز عنه ومن التعظيم الواجب أن يجود كتابة الكتاب ولا يقرمط ويترك الحاشية الا عند الضرورة ورأى أبوحنيفة رحمه الله تعالى كاتبا يقرمط

فى الكتابة فقال لم تقرمط خطك ان عشت تندم وان مت تشتم يعنى اذا شخت وضعف بصرك ندمت على ذلك وحكى عن الشيخ الامام مجد الدين السرخكى أنه قال ما قرمطنا ندمنا وما انتخبنا ندمنا وما لم نقابل ندمنا وينبغى أن يكون تقطيع الكتاب مربعا فانه تقطيع أبى حنيفة رحمه الله وهو أيسر الى الرفع والوضع والمطالعة وينبغى أن لا يكون فى الكتاب شئ من الحمرة فانها صنيع الفلاسفة لا صنيع السلف ومن مشايخنا من كره استعمال المركب الاحمر ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء فى طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه والتملق مذموم الا فى طلب العلم فانه ينبغى أن يتملق لاستاذه وشركائه ليستفيد منهم وينبغى لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة وان سمع مسئلة واحدة أو كلمة واحدة ألف مرة *قيل من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه فى أول مرة فليس بأهل للعلم وينبغى لطالب العلم أن لا يختار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره الى الاستاذ فان الاستاذ قد حصل له التجارب فى ذلك فكان أعرف بما ينبغى لكل أحد وما يليق بطبيعته *وكان الشيخ الامام الاجل الاستاذ برهان الدين يقول كان طلبة العلم فى الزمان الاول يفوضون أمورهم فى التعلم الى استاذهم فكانوا يصلون الى مقاصدهم ومرادهم والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه وكان يحكى أن محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى كان بدأ بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن فقال له محمد رحمه الله تعالى اذهب وتعلم علم الحديث لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه فطلب علم الحديث فصار فيه مقدما على جميع أئمة الحديث وينبغى لطالب

العلم أن لا يجلس قريبا من الاستاذ عند السبق بغير ضرورة بل ينبغي أن يكون بينه وبين الاستاذ قدر القوس فانه أقرب الى التعظيم وينبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة فانها كلاب معنوية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة وانما يتعلم الانسان بواسطة الملك والاخلاق الذميمة تعرف في كتاب الاخلاق وكتابنا هذا لا يحتمل بيانها خصوصا عن التكبر ومع التكبر لا يحصل العلم قيل

العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي

وقيل

بجد لا بجد كل مجد * فهل جد بلا جد بمجدي
فكم عبد يقوم مقام حر * وكم حر يقوم مقام عبد

(فصل في الجد والمواظبة والهمة)

ثم لا بد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم واليه الاشارة في القرآن بقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقد قيل من طلب شيأ وجد وجد ومن قرع الباب ولج ولج . وقيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى قيل يحتاج في التعلم والتفقه الى جد الثلاثة المتعلم والاستاذ والاب ان كان في الاحياء أنشدني الشيخ الامام الاستاذ سديد الدين الشيرازي رحمة الله عليه للامام الشافعي شعر

الجد يدني كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
وأحق خلق الله بالهم امرء * ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وحكمه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

لكن من رزق الحجى حرم الغنا * ضدان يفترقان أي تفرق

وأنشدت لغيره

تمنيت أن تمسى فقيها مناظرا * بغير عناء والجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة * تحملها فالعلم كيف يكون

قال أبو الطيب

ولم أر في عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

ولا بد للطالب من سهر الليالي كما قال الشاعر

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلى سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلي

علو الكعب بالهمم العوالي * وعز المرء في سهر الليالي

ومن رام العلى من غير كد * أضاع العمر في طلب المحال

تركت النوم ربي في الليالي * لاجل رضاك يا مولى الموالي

فوفقني الى تحصيل علم * وبلغني الى أقصى المعالي

وقيل اتخذ الليل جملا تدرك به أملا قال المصنف رحمه الله تعالى

وقد اتفق لي نظم في هذا المعنى

من شاء أن يحتوي آماله جملا * فليتخذ ليله في دركها جملا

اقلل طعامك كي تحظى به سهرا

ان شئت يا صاحبي أن تبلغ الكملا

وقيل من أسهر نفسه بالليل فقد فرح قلبه بالنهار ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره فان ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك قيل في المعنى شعر

يا طالب العلم باشر الورعا * وجنب النوم واترك الشبعا

داوم على الدرس لا تفارقه * فالعلم بالدرس قام وارتفعا

فيغتنم أيام الحداثة وعنفوان الشباب كما قيل

بقدر الكد تعطى ما تروم * فمن رام المنى ليلا يقوم
وأيام الحداثة فاغتنمها * الا ان الحداثة لا تدوم

ولا يجهد نفسه جهدا ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل بل يستعمل الرفق فى ذلك والرفق أصل عظيم فى جميع الاشياء قال عليه الصلاة والسلام الا ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغض على نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وقال عليه السلام نفسك مطيتك فارفق بها ولا بد لطالب العلم من الهمة العالية فى العلم فان المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه قال أبو الطيب

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكريم المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

والرأس فى تحصيل الاشياء الجد والهمة العاليه فمن كان همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن رحمه الله تعالى واقترن بذلك الجد والمواظبة فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها فأما اذا كانت له همة عالية ولم يكن له جد أو كان له جد ولم يكن له همة عالية لا يحصل له علم الا قليل وذكر الشيخ الاجل الامام الاستاذ رضى الدين النيسابورى رحمه الله فى كتاب مكارم الاخلاق أن ذا القرنين لما أراد أن يسافر ليستولى على المشرق والمغرب شاور الحكماء فى ذلك وقال كيف أسافر لهذا القدر من الملك فان الدنيا قليلة فانية وملك الدنيا أمر حقير فليس هذا من علو الهمة فقالت الحكماء سافر ليحصل لك ملك الدنيا والآخرة فقال هذا أحسن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب

معالى الامور ويكره سفسافها وقيل

فلا تعجل بأمرك واستدمه * فما صلى عصاك كمستديم

قال أبو حنيفة لابى يوسف رحمهما الله تعالى كنت بليدا أخرجتك المواظبة واياك والكسل فانه شؤم وآفة عظيمة قال الشيخ الامام أبو نصر الصفار الانصارى رحمه الله تعالى

يا نفس يا نفس لا ترخى عن العمل

فى البر والعدل والاحسان فى مهل

فكل ذى عمل فى الخير مغتبط * وفى بلاء وشؤم كل ذى كسل

قال المصنف وقد اتفق لى فى هذا المعنى

دعى نفسى التكاسل والتوانى * والا فاثبتى فى ذا الهوان

فلم أر للكسالى الحظ يعطى * سوى ندم وحرمان الامانى

وقيل

كم من حياء وكم عجز وكم ندم * جم تولد للانسان من كسل

اياك عن كسل فى البحث عن شبه * مما علمت وما قد شذ عنك سل

وقد قيل الكسل من قلة التأمل فى مناقب العلم وفضائله فينبغى للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل فى فضائل العلم فان العلم يبقى ببقاء المعلومات والمال يفنى كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

والعلم النافع يحصل به حسن الذكر ويبقى ذلك بعد وفاته فانه حياة أبدية أنشدنا الشيخ الامام الاجل ظهير الدين مفتى الائمة حسن بن على المعروف بالمرغينانى رحمه الله تعالى

الجاهلون فموتى قبل موتهم * والعالمون وان ماتوا فاحياء
وأنشدنا شيخ الاسلام برهان الدين
وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * فأجسامهم قبل القبور قبور
وانّ امرء لم يحي بالعلم ميت * وليس له حين النشور نشور
غيره
أخو العلم حيّ خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى
يظنّ من الاحياء وهو عديم
وقال آخر
حياة القلب علم فاغتنمه * وموت القلب جهل فاجتنبه
أنشدنا الشيخ الاستاذ شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله
اذا العلم أعلى رتبة في المراتب * ومن دونه عز العلى في المواكب
فذو العلم يبقى عزه متضاعفا * وذو الجهل بعد الموت تحت التيارب
فهيهات لا يرجو مداه من ارتقى * رقيّ وليّ الملك والى الكتائب
سأملي عليكم بعض ما فيه فاسمعوا * فبي حصر عن ذكر كل المناقب
هو النور كل النور يهدي عن العمى
وذو الجهل مرّ الدهر بين الغياهب
هو الذروة الشماء تحمي من التجى * اليها ويمشي آمنا في النوائب
به ينتجي والناس في غفلاتهم * به يرتجي والروح بين الترائب
به يشفع الانسان من راح عاصيا * الى درك النيران شر العواقب
فمن رامه رام المآرب كلها * ومن حازه قد حاز كل المطالب
هو المنصب العالي يا صاحب الحجى * اذا نلته هون بفوت المناصب
فان فاتك الدنيا وطيب نعيمها * فغمض فان العلم خير المواهب

وأنشدت

وأنشدت لبعضهم

اذا ما اعتز ذو علم بعلم * فعلم الفقه أولى باعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك * وكم طير يطير ولا كبازى

وأنشدت أيضاً

الفقه أنفس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فاكسب لنفسك ما أصبحت تجهله * فأوّل العلم اقبال وآخره

وكفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا وباعثا للعاقل على تحصيل العلم وقد يتولد الكسل من كثرة البلغم والرطوبات وطريق تقليله تقليل الطعام قيل اتفق سبعون نبيا عليهم الصلاة والسلام على أن كثرة النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء وكثرة شرب الماء من كثرة الاكل والخبز اليابس يقطع البلغم وكذلك أكل الزبيب على الريق ولا يكثر منه حتى لا يحتاج الى شرب الماء فيزيد البلغم والسواك يقلل البلغم ويزيد فى الحفظ والفصاحة فانه سنة سنية ويزيد فى ثواب الصلاة وقراءة القرآن وكذلك القئ يقلل البلغم والرطوبات وطريق تقليل الاكل التأمّل فى منافع قلة الاكل وهى الصحة والعفة والايثار وقد قيل

فعار ثم عار ثم عار * شقاء المرء من أجل الطعام

وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة نفر يبغضهم الله تعالى من غير جرم الاكول والبخيل والمتكبر والتأمّل فى مضار كثرة الاكل وهى الامراض وكلالة الطبع قيل البطنة تذهب الفطنة * حكى عن جالينوس أنه قال الرمان نفع كله والسمك ضرر كله وقليل السمك خير من كثير الرمان وفيه أيضا اتلاف المال والاكل فوق الشبع ضرر محض ويستحق به العقاب فى دار الآخرة

والاكول بغيض فى القلوب وطريق تقليل الاكل أن يأكل الاطعمة الدسمة ويقدم فى الاكل الالطف والاشهى ولا يأكل مع الجيعان الا اذا كان له غرض صحيح فى كثرة الاكل بأن يتقوى به على الصيام والصلاة والاعمال الشاقة فله ذلك

(فصل فى بداية السبق وقدره وترتيبه)

كان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يوقف بداءة السبق على يوم الاربعاء وكان يروى فى ذلك حديثا ويستدل به ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن شئ بدئ فى يوم الاربعاء الاوقدتم وهكذا كان يفعل أبو حنيفة رحمه الله تعالى وكان يروى هذا الحديث عن أستاذه الشيخ الامام الاجل قوام الدين أحمد بن عبد الرشيد رحمه الله تعالى وسمعت ممن أثق به أن الشيخ أبا يوسف الهمدانى رحمه الله تعالى كان يوقف كل عمل من أعمال الخير على يوم الاربعاء وهذا لان يوم الاربعاء يوم خلق فيه النور وهو يوم نحس فى حق الكفار فيكون مباركا للمؤمنين وأما قدر السبق فى الابتداء كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يحكى عن الشيخ القاضى الإمام عمر بن الامام أبى بكر الزرنجى رحمه الله تعالى أنه قال قال مشايخنا رحمهم الله تعالى ينبغى أن يكون قدر السبق للمبتدى قدر ما يمكن ضبطه بالاعادة مرتين بالرفق ويزيد كل يوم كلمة حتى أنه وان طال السبق وكثر يمكن ضبطه بالاعادة مرتين ويزيد بالرفق والتدريج فأما اذا طال السبق بالابتداء واحتاج الى الاعادة عشر مرات فهو فى الانتهاء أيضا يكون كذلك لانه يعتاد ذلك ولا يترك تلك العادة الا بجهد كثير وقد قيل السبق حرف والتكرار ألف وينبغى أن يبتدئ بشئ يكون أقرب الى

فهمه وكان الشيخ الامام الاستاذ شرف الدين العقيلي رحمه الله تعالى يقول الصواب عندى فى هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله وأنهم كانوا يختارون للمبتدى صغارات المبسوط لانه أقرب الى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعا بين الناس وينبغي أن يعلق السبق بعد الضبط والاعادة كثيرا فانه نافع جدّا ولا يكتب المتعلم شيأ لا يفهمه فانه يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته وينبغي أن يجتهد فى الفهم عن الاستاذ أو بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار فانه اذا قلّ السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم قيل حفظ حرفين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين واذا تهاون فى الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير فينبغي أن لا يتهاون فى الفهم بل يجتهد ويدعو الله تعالى ويتضرع اليه فانه يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه أنشدنا الشيخ الامام الاجل قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسماعيل الصفار رحمه الله تعالى املاء للقاضى الخليل ابن أحمد السجزى فى ذلك

اخدم العلم خدمة المستفيد * وأدم درسه بفعل حميد
واذا ما حفظت شيأ أعده * ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كى تعود اليه * والى درسه على التأبيد
واذا ما أمنت منه فواتا * فانتدب بعده لشئ جديد
مع تكرار ما تقدم منه * اعتناء بشأن هذا المزيد
ذاكر الناس بالعلوم لتحيي * لا تكن من أولى النهى ببعيد
ان كتمت العلوم أنسيت حتى * لا ترى غير جاهل وبليد
ثم ألجمت فى القيامة نارا * وتلهبت فى العذاب الشديد

ولا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة فينبغي أن يكون بالانصاف والتأني والتأمل ويتحرز عن الشغب والغضب فان المناظرة والمذاكرة مشاورة والمشاورة انما تكون لاستخراج الصواب وذلك انما يحصل بالتأمل والانصاف ولا يحصل بالشغب والغضب فان كانت نيته الزام الخصم وقهره لا يحل ذلك وانما يحل ذلك لاظهار الحق * والتمويه والحيلة فيها لا تجوز الا اذا كان الخصم متعنتا لا طالبا للحق وكان محمد بن يحيي رحمه الله تعالى اذا توجه عليه الاشكال ولم يحضره الجواب يقول ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظر وفوق كل ذي علم عليم * وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرّد التكرار لانّ فيه تكرارا وزيادة وقيل مطارحة ساعة خير من تكرار شهر ولكن اذا كان مع منصف سليم الطبيعة واياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فان الطبيعة متسرية والاخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة وفي الشعر الذي ذكره خليل بن أحمد رحمه الله فوائد كثيرة قيل

العلم من شرطه لمن خدمه * أن يجعل الناس كلهم خدمه

وينبغي لطالب العلم أن يكون متأملا في جميع الاوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك فانما تدرك الدقائق بالتأمل ولهذا قيل تأمّل تدرك ولا بدّ من التأمل قبل الكلام حتى يكون صوابا فان الكلام كالسهم فلا بدّ من تقويمه بالتأمل قبل الكلام حتى يكون مصيبا وقال في أصول الفقه هذا أصل كبير وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل قيل رأس العقل أن يكون الكلام بالتثبت والتأمّل قال القائل

أوصيك في نظم الكلام بخمسة * ان كنت للموصي الشفيق مطيعا

لا تغفلن سبب الكلام ووقته * والكيف والكم والمكان جميعا
ويكون مستفيدا في جميع الاحوال والاوقات من جميع الاشخاص
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن أينما
وجدها أخذها وقيل خذ ما صفا دع ما كدر وسمعت الشيخ
الامام الاستاذ فخر الدين الكاشاني رحمه الله تعالى يقول كانت
جارية أبي يوسف رحمه الله أمانة عند محمد رحمة الله عليه فقال لها
محمد هل تحفظين في هذا الوقت من أبي يوسف في الفقه شيأ قالت لا
الا انه كان يكرر ويقول سهم الدور ساقط فحفظ ذلك منها وكانت
تلك المسئلة مشكلة على محمد رحمه الله تعالى فارتفع اشكاله بهذه
الكلمة فعلم أن الاستفادة ممكنة من كل أحد ولهذا قال أبو يوسف
رحمه الله حين قيل له بم أدركت العلم قال ما استنكفت من
الاستفادة وما بخلت بالافادة وقيل لابن عباس رضي الله تعالى
عنهما بم أدركت العلم قال بلسان سئول وقلب عقول وانما سمي
طالب العلم ما تقول لكثرة ما يقولون في الزمان الاول ما تقول
في هذه المسئلة وانما تفقه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة
والمذاكرة في دكانه حين كان بزازا وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه
يجتمع مع الكسب وكان أبو حفص الكبير رحمه الله يكتسب
ويكرر فان كان لا بد لطالب العلم من الكسب لنفقة العيال
وغيره فليكتسب وليكرر وليذاكر ولا يكسل وليس لصحيح
البدن والعقل عذر في ترك التعلم والتفقه فانه لا يكون أفقر من ابي
يوسف رحمه الله تعالى ولم يمنعه ذلك من التفقه فمن كان له مال كثير
فنعم المال الصالح للرجل الصالح المنصرف في طريق العلم قيل لعالم
بم أدركت العلم قال بأب غني لانه كان يصطنع به أهل العلم والفضل

فانه سبب زيادة العلم لانه شكر على نعمة العقل والعلم وانه سبب الزيادة قال أبو حنيفة رحمه الله انما أدركت العلم بالحمد والشكر فبكلما فهمت شيأ من العلوم ووقفت على فقه وحكمة قلت الحمد لله تعالى فازداد علمي وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان والجنان والاركان والمال ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى ويطلب هداية من الله تعالى بالدعاء له والتضرع اليه فانه تعالى هاد من استهداه فأهل الحق وهم أهل السنة والجماعة طلبوا الحق من الله تعالى الحق المبين الهادي العاصم فهداهم الله تعالى وعصمهم عن الضلالة وأهل الضلالة أعجبوا برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل لان العقل لا يدرك جميع الاشياء كالبصر لا يبصر جميع الاشياء فحجبوا وعجزوا وضلوا وأضلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه فاذا عرف عجز نفسه عرف قدرة الله تعالى عز وجل ولا يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكل على الله تعالى ويطلب الحق منه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ويهديه الى صراط مستقيم ومن كان له مال فلا يبخل فينبغي أن يتعوذ بالله العظيم من البخل قال النبي عليه الصلاة والسلام أي داء أدوء من البخل وكان أبو الشيخ الامام الاجل شمس الائمة الحلواني رحمه الله فقيرا يبيع الحلواء وكان يعطي الفقهاء من الحلواء ويقول ادعوا لابني فببركة جوده واعتقاده وتضرعه نال ابنه ما نال * ويشتري بالمال الكتب ويستكتب فيكون عونا على التعلم والتفقه وقد كان لمحمد بن الحسن رحمه الله تعالى مال كثير حتى كان له ثلثمائة من الوكلاء على ماله فانفقه كله في العلم والفقه ولم يبق له ثوب نفيس

فرآه

فرآه أبو يوسف رحمه الله تعالى فى ثوب خلق فأرسل اليه ثيابا
نفيسة فلم يقبلها فقال عجل لكم واجل لنا ولعله انما لم يقبله وان كان
قبول الهدية سنة لما رآى أن فى ذلك مذلة لنفسه وقد قال النبى
عليه الصلاة والسلام ليس للمؤمن ان يذل نفسه وحكى أن الشيخ
فخر الاسلام الارسابندى رحمه الله جمع قشور البطيخ الملقاة فى مكان
خال فغسلها وأكلها فرأته جارية فأخبرت بذلك مولاها فاتخذ له
دعوة ودعاه اليها فلم يقبل لهذا وهكذا ينبغى لطالب العلم أن يكون
ذا همة عالية لا يطمع فى أموال الناس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اياك والطمع فانه فقر حاضر ولا يبخل بما عنده من المال بل
ينفق على نفسه وعلى غيره قال النبى عليه الصلاة والسلام
الناس كلهم فى الفقر مخافة الفقر وكانوا فى الزمان الاول يتعلمون
الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمعون فى أموال الناس وفى
الحكمة من استغنى بمال الناس افتقر والعالم اذا كان طماعا لم يبق له
حرمة العلم ولا يقول بالحق ولهذا كان يتعوذ صاحب الشرع عليه
السلام منه ويقول أعوذ بالله من طمع يدنى الى طبع وينبغى للمؤمن
أن لا يرجو الا من الله تعالى ولا يخاف الا منه تعالى ويظهر ذلك
بمجاوزة حد الشرع وعدمها فمن عصى الله تعالى خوفا من المخلوق
فقد خاف غير الله تعالى فاذا لم يعص الله تعالى لخوف المخلوق وراقب
حدود الشرع فلم يخف غير الله تعالى بل خاف الله تعالى وكذا
فى جانب الرجاء وينبغى لطالب العلم أن يعد ويقدر لنفسه تقديرا
فى التكرار فانه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ وينبغى لطالب
العلم أن يكرر سبق الامس خمس مرات وسبق اليوم الذى قبل
الامس أربع مرات والسبق الذى قبله ثلاث مرات والذى

قبله اثنين والذى قبله مرة واحدة فهذا أدعى الى الحفظ وينبغى أن لا يعتاد المخافتة فى التكرار لان الدرس والتكرار ينبغى أن يكونا بقوة ونشاط ولا يجهر جهرا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار فخير الامور أوسطها حكى أن أبا يوسف رحمه الله تعالى كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط وكان صهره عنده يتعجب فى أمره ويقول أنا أعلم انه جائع منذ خمسة أيام ومع ذلك انه يناظر بقوة ونشاط وينبغى ان لا يكون لطالب العلم فترة فانها آفته وكان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول انما فقت على شركائى بأن لم تقع لى الفترة فى التحصيل وكان يحكى عن شيخ الاسلام الاسبيجابى أنه وقع له فى زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتى عشرة سنة بانقلاب الملك وخرج مع شريكه فى المناظرة ولم يتركا المناظرة وكانا يجلسان كل يوم للمناظرة ولم يتركا الجلوس للمناظرة اثنتى عشرة سنة فصار شريكه شيخ الاسلام للشافعيين وهو كان شافعيا وكان أستاذنا الشيخ القاضى الامام فخر الاسلام قاضى خان يقول ينبغى للمتفقه أن يحفظ نسخة واحدة من نسخ الفقه دائما فيتيسر له بعد ذلك حفظ ما يسمع من الفقه

(فصل فى التوكل)

ثم لا بد لطالب العلم من التوكل فى طلب العلم ولا يهتم لامر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك روى أبو حنيفة رحمه الله عن عبد الله بن الحسن الزبيدى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفقه فى دين الله كفاه الله تعالى همه ورزقه من حيث لا يحتسب فان من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة

قلما يتفرغ لتحصيل مكارم الاخلاق ومعالي الامور قيل
دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
قال رجل لمنصور الحلاج أوصني فقال هي نفسك ان لم تشغلها
وتستعملها شغلتك فينبغي لكل أحد أن يشغل نفسه بأعمال الخير
حتى لا تشتغل نفسه بهواها ولا يهتم العاقل لامر الدنيا لان الهم
والحزن لا يرد المصيبة ولا ينفع بل يضر بالقلب والعقل والبدن
ويخل بأعمال الخير ويهتم لامر الآخرة لانه ينفع وأما قوله عليه
السلام ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا هم المعيشة فالمراد منه
قدر هم لا يخل بأعمال الخير ولا يشغل القلب شغلا يخل باحضار
القلب في الصلاة فان ذلك القدر من الهم والقصد من اعمال الآخرة
ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع ولهذا
اختاروا الغربة ولا بد من تحمل النصب والمشقة في سفر التعلم كما قال
موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه في سفر التعلم ولم ينقل
عنه ذلك في غيره من الاسفار قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
ليعلم أن سفر العلم لا يخلو عن التعب لان العلم أمر عظيم وهو أفضل
من الجهاد عند أكثر العلماء والاجر على قدر التعب والنصب فمن
صبر على ذلك وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا ولهذا كان محمد بن
الحسن اذا سهر الليالي وانحلت له المشكلات يقول أين أبناء الملوك
من هذه اللذات وينبغي لطالب العلم ان لا يشتغل بشيء آخر غير
العلم ولا يعرض عن الفقه قال محمد بن الحسن رحمه الله ان صناعتنا
هذه من المهد الى اللحد فمن أراد أن يترك علمنا هذا ساعة فلتتركه
الساعة ودخل فقيه على أبي يوسف يعوده في مرض موته وهو
يجود بنفسه فقال أبو يوسف له رمي الجمار راكبا أفضل أم راجلا فلم

يعرف الجواب فأجاب بنفسه وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغل به في جميع أوقاته فحينئذ يجد لذة عظيمة في ذلك وقيل رؤى محمد في المنام بعد وفاته فقيل له كيف كنت في حال النزع فقال كنت متأملا في مسئلة من مسائل المكاتب فلم أشعر بخروج روحي وقيل انه قال في آخر عمره شغلتني مسائل المكاتب عن الاستعداد لهذا اليوم وانما قال ذلك تواضعا

(فصل في وقت التحصيل)

قيل وقت التعلم من المهد الى اللحد دخل حسن بن زياد رحمه الله تعالى في التفقه وهو ابن ثمانين سنة ولم يبت على الفراش أربعين سنة فأفتى بعد ذلك أربعين سنة وأفضل الاوقات شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشائين وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته فاذا مل من علم يشتغل بعلم آخر وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنه اذا مل من علم الكلام يقول هاتوا ديوان الشعراء وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده الدفاتر وكان اذا مل من نوع ينظر في نوع آخر وكان يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء وكان يقول ان النوم من الحرارة فلا بد من دفعه بالماء البارد

(فصل في الشفقة والنصيحة)

ينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقا ناصحا غير حاسد فالحسد يضر ولا ينفع وكان أستاذنا شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله يقول قالوا ان ابن المعلم يكون عالما لان المعلم يريد أن تكون تلاميذه في القرآن علماء فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالما وكان يحكى أن الصدر الاجل برهان الائمة رحمه الله جعل وقت السبق لابنيه

الصدر الشهيد حسام الدين والصدر السعيد تاج الدين رحمهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى بعد جميع الاسباق وكانا يقولان طبيعتنا تكل وتمل فى ذلك الوقت فقال أبوهما ان الغرباء وأولاد الكبراء يأتونني من أقطار الارض فلا بدّ من أن أقدم اسباقهم فببركة شفقته فاق ابناه على أكثر فقهاء أهل الارض فى ذلك العصر فى الفقه وينبغى أن لا ينازع أحدا ولا يخاصمه لانه يضيع أوقاته قيل المحسن سيجزى باحسانه والمسيء ستكفيه مساويه أنشدنى الشيخ الامام ركن الاسلام محمد بن أبى بكر المعروف بامام خواهرزاده المفتى رحمه الله قال أنشدنى سلطان الشريعة يوسف الهمدانىّ رحمه الله تعالى

ولا تجز انسانا على سوء فعله * سيكفيه ما فيه وما هو فاعله

قيل من أراد أن يرغم أنف عدوّه فليكرّر هذا الشعر وانشدت

اذا شئت أن تلقى عدوّك راغما * وتقتله غما وتحرقه هما

فرم للعلى وازدد من العلم انه * من ازداد علما زاد حاسده غما

قيل عليك أن تشتغل بمصالح نفسك لا بقهر عدوّك فاذا اقمت بمصالح نفسك تضمن ذلك قهر عدوك واياك والمعاداة فانها تفضحك وتضيع أوقاتك وعليك بالتحمل لا سيما من السفهاء قال عيسى ابن مريم صلوات الله على نبينا وعليه احتملوا من السفيه واحدة كى تربحوا عشرا وأنشدت لبعضهم

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال

ولم أر فى الخطوب أشدّ وقعا * وأصعب من معاداة الرجال

وذقت مرارة الاشياء طرّا * فما شئ أمرّ من السؤال

واياك أن تظنّ شرّا بالمؤمنين فانه منشأ العداوة ولا يحلّ ذلك

لقوله عليه الصلاة والسلام ظنوا بالمؤمنين خيرا وانما ينشأ ذلك من خبث النية وسوء السريرة كما قال أبو الطيب

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته * وأصبح فى ليل من الشك مظلم

وأنشدت لبعضهم

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستكفى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو فلا تكده

وأنشدت للشيخ العميد أبي الفتح البستي رحمه الله

ذو العقل لا يسلم من جاهل * يسومه ظلما واعناتا
فليختر السلم على حربه * وليلزم الانصات ان ضاتا

(فصل فى الاستفادة)

وينبغي أن يكون طالب العلم مستفيدا فى كل وقت حتى يحصل له الفضل وطريق الاستفادة أن يكون معه فى كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد قيل من حفظ فرّ ومن كتب شيئا قرّ وقيل العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال لانهم يحفظون أحسن ما يسمعون ويقولون أحسن ما يحفظون وسمعت الشيخ الامام الاديب الاستاذ زين الاسلام المعروف بالاديب المختار يقول قال هلال بن يسار رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه شيأ من العلم والحكمة فقلت يا رسول الله أعد لى ما قلت لهم فقال لى هل معك محبرة فقلت ما معى محبرة فقال يا هلال لا تفارق المحبرة فان الخير فيها وفى أهلها الى يوم القيامة ووصى الصدر الشهيد حسام الدين ابنه شمس الدين أن يحفظ كل يوم شيأ يسيرا من العلم والحكمة فانه يسير وعن قريب يكون كثيرا واشترى عصام بن يوسف قلما بدينار

ليكتب ما سمعه في الحال فالعمر قصير والعلم كثير فينبغي أن لا يضيع الاوقات والساعات ويغتنم الليالي والخلوات عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك وينبغي أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم وليس كل ما فات يدرك كما قال أستاذنا شيخ الاسلام رحمة الله عليه في مشيخته كم من شيخ كبير أدركته وما استخبرته وأقول على هذا الفوت منشأ هذا البيت

لهفي على فوت التلاقي لهفا * ما كل ما فات ويفنى يلفى

قال علي كرم الله وجهه اذا كنت في أمر فكن فيه وكفى بالاعراض عن علم الله خزيا وخسارا واستعذ بالله منه ليلا ونهارا ولابد لطالب العلم من تحمل المشقة والمذلة في طلب العلم والتملق مذموم الا في طلب العلم فانه لابد له من التملق للاستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم قيل العلم عز لا ذل فيه لا يدرك الا بذل لا عز فيه وقال القائل

أرى لك نفسا تشتهي أن تعزها * فلست تنال العز حتى تذلها

(فصل في الورع في حالة التعلم)

روى بعضهم حديثا في هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله تعالى باحد ثلاثة أشياء اما أن يميته في شبابه أو يوقعه في الرساتيق أو يبتليه بخدمة السلطان فهما كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع والتعلم له أيسر وفوائده أكثر ومن الورع الكامل أن يحترز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع وان يحترز عن أكل طعام السوق

ان أمكن لان طعام السوق أقرب للنجاسة والخيانة وأبعد عن ذكر الله وأقرب الى الغفلة ولان أبصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون على الشراء منه فيتأذون بذلك فتذهب بركته حكى أن الشيخ الامام الجليل محمد بن الفضل رحمه الله كان فى حال تعلمه لا يأكل من طعام السوق وكان أبوه يسكن فى الرستاق ويهيئ اليه طعامه ويدخل اليه يوم الجمعة فرأى فى بيت ابنه خبز السوق يوما فلم يكلمه ساخطا عليه فاعتذر ابنه وقال ما اشتريته ولم أرض به ولكن أحضره شريكى فقال له أبوه لو كنت تحتاط وتتورع عن مثله لم يجترئ شريكك على ذلك وهكذا كانوا يتورعون فلذلك وفقوا للعلم والنشر حتى بقى اسمهم الى يوم القيامة ووصى فقيه من زهاد الفقهاء طالب علم فقال له عليك أن تحترز عن الغيبة وعن مجالسة المكثار وقال ان من يكثر الكلام يسرق عمرك ويضيع أوقاتك ومن الورع أن يجتنب عن أهل الفساد والمعاصى والتعطيل ويجاور الصلحاء فان المجاورة مؤثرة لا محالة وأن يجلس مستقبل القبلة ويكون مستنا بسنة النبى عليه السلام ويغتنم دعوة أهل الخير ويحترز عن دعوة المظلومين حكى أن رجلين خرجا فى طلب العلم للغربة وكانا شريكين فى العلم فرجعا بعد سنين الى بلدهما وقد فقه أحدهما ولم يفقه الآخر فتأمل فقهاء البلدة وسألوا عن حالهما وتكرارهما وجلوسهما فأخبروا أن جلوس الذى تفقه فى حال التكرار كان مستقبل القبلة والمصر الذى حصل العلم فيه والآخر كان مستدبر القبلة ووجهه الى غير المصر فاتفق العلماء والفقهاء أن الفقيه فقه ببركة استقبال القبلة اذ هو السنة فى الجلوس الا عند الضرورة وببركة دعاء المسلمين فان المصر لا يخلو عن العباد وأهل الخير

فالظاهر

فالظاهر أن عابدا من العباد دعا له في الليل فينبغي لطالب العلم ان لا يتهاون بالآداب والسنن فان من تهاون بالآداب حرم السنن ومن تهاون بالسنن حرم الفرائض ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة وبعضهم قال هذا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يكثر الصلاة ويصلي صلاة الخاشعين فان ذلك عون له على التحصيل والتعلم أنشدت للشيخ الجليل الزاهد الحاج نجم الدين عمر بن محمد النسفي

كن للاوامر والنواهي حافظا * وعلى الصلاة مواظبا ومحافظا
واطلب علوم الشرع واجهد واستعن * بالطيبات تصر فقيها حافظا
واسأل الهك حفظ حفظك راغبا * في فضله فالله خير حافظا

وقال رحمه الله

أطيعوا وجدوا ولا تكسلوا * وأنتم الى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فخيار الورى * قليلا من الليل ما يهجعون

وينبغي أن يستصحب دفترا على كل حال ليطالعه وقيل من لم يكن له دفتر في كمه لم تثبت الحكمة في قلبه وينبغي أن يكون في الدفتر بياض ليكتب فيه ما سمعه من أفواه الرجال ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمع وقد ذكرنا حديث هلال بن يسار

(فصل فيما يورث الحفظ)

وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن من أسباب الحفظ قيل ليس شئ أزيد للحفظ من قراءة القرآن نظرا وقراءة القرآن نظرا أفضل لقوله عليه السلام أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن نظرا ورأى شداد بن حكيم بعض

اخوانه فى المنام بعد وفاته فقال أى شئ وجدته أنفع قال قراءة القرآن نظرا ويقول عند رفع الكتاب بسم الله وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم العزيز العليم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين ويقول بعد كل مكتوبة آمنت بالله الواحد الاحد الحق وحده لا شريك له وكفرت بما سواه ويكثر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانه رحمة للعالمين قيل

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فارشدنى الى ترك المعاصى
فان الحفظ فضل من اله * وفضل الله لا يهدى لعاصى

والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل احدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ ويشفى من كثير من الامراض والاسقام وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد فى الحفظ وكل ما يزيد فى البلغم يورث النسيان * وأما ما يورث النسيان فالمعاصى وكثرة الذنوب والهموم والاحزان فى امور الدنيا وكثرة الاشغال والعلائق وقد ذكرنا أنه لا ينبغى للعاقل أن يهتم لامر الدنيا لانه يضر ولا ينفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة فى القلب وهموم الآخرة لا تخلو عن النور فى القلب ويظهر أثره فى الصلاة وهم الدنيا يمنعه عن الخير وهم الآخرة يحمله عليه والاشتغال بالصلاة على الخشوع وتحصيل العلم ينفى الهم والحزن كما قال الشيخ الامام نصر بن الحسن المرغينانى فى قصيدة له

اعن نصر بن حسن * بكل علم يختزن
ذاك الذى ينفى الحزن * وغيره لا يؤتمن

وقال الشيخ الامام الاجل نجم الدين عمر بن محمد النسفى فى أم ولد له

سلام على من تيمتني بطرفها * ولمعة خدها ولمحة طرفها
سبتني وأصبتني فتاة مليحة * تحيرت الاوهام في كنه وصفها
فقلت ذريني واعذريني فانني * شغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى * غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وأما أسباب نسيان العلم فأكل الكسبرة الرطبة وأكل التفاح الحامض والنظر الى المصلوب وقراءة لوح القبور والمرور بين قطار الجمال والقاء القمل الحي على الارض والحجامة على نقرة القفا كلها تورث النسيان

(فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص)

ثم لا بد لطالب العلم من القوت ومعرفة ما يزيد فيه وما يزيد في العمر والصحة ليتفرغ طالب العلم وفي كل ذلك صنفوا كتبا فأوردت هاهنا بعضها على سبيل الاختصار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر فان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ثبت بهذا الحديث أن ارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق خصوصا الكذب يورث الفقر وقد ورد فيه حديث خاص وكذا نوم الصبحة يمنع الرزق وكثرة النوم تورث الفقر وفقد العلم أيضا قال القائل

سرور الناس في لبس اللباس * وجمع العلم في ترك النعاس

وقال بعضهم

أليس من الخسران ان لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وقال آخر

قم الليل يا هذا لعلك ترشد * الى كم تنام الليل والعمر ينفد

والنوم عريانا والبول عريانا والاكل جنبا والاكل متكئا على جنب والتهاون بسقاطة المائدة وحرق قشر البصل والثوم وكنس البيت بالمنديل وكنس البيت فى الليل وترك القمامة فى البيت والمشى قدام المشايخ ونداء الابوين باسمهما والخلال بكل خشبة وغسل اليد بالطين والتراب والجلوس على العتبة والاتكاء على أحد زوجى الباب والتوضئ فى المبرز وخياطة الثوب على بدنه وتجفيف الوجه بالثوب وترك بيت العنكبوت فى البيت والتهاون بالصلاة واسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر والابتكار بالذهاب الى السوق والابطاء فى الرجوع منه وشراء كسيرات الخبز من الفقراء السؤال ودعاء الشر على الولد وترك تخمير الاوانى واطفاء السراج بالنفس كل ذلك يورث الفقر عرف ذلك بالآثار وكذا الكتابة بالقلم المعقود والامتشاط بمشط منكسر وترك الدعاء بالخير للوالدين والتعمم قاعدا والتسرول قائما والبخل والتقتير والاسراف والكسل والتوانى والتهاون فى الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزلوا الرزق بالصدقة والبكور مبارك يزيد فى جميع النعم خصوصا فى الرزق وحسن الخط من مفاتيح الرزق وبسط الوجه وطيب الكلام يزيد فى الحفظ والرزق وعن الحسن بن على رضى الله عنهما كنس الفنا وغسل الانا مجلبة الغنى وأقوى الاسباب الجالبة للرزق اقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع وتعديل الاركان وسائر واجباتها وسننها وآدابها وصلاة الضحى فى ذلك معروفة مشهورة وقراءة سورة الواقعة خصوصا بالليل وقت النوم وقراءة سورة الملك والمزمل والليل اذا يغشى وألم نشرح لك وحضور المسجد قبل الاذان

والمداومة على الطهارة وأداء سنة الفجر والوتر في البيت وأن لا يتكلم بكلام الدنيا بعد الوتر ولا يكثر مجالسة النساء الا عند الحاجة وأن لا يتكلم بكلام لغو غير مفيد لدينه ودنياه قيل من اشتغل بما لا يعنيه يفوته ما يعنيه قال بزرجمهر اذا رأيت الرجل يكثر الكلام فاستيقن بجنونه قال علي كرم الله وجهه اذا تم العقل نقص الكلام وقال المصنف اتفق لي في هذا المعنى

اذا تم عقل المرء قل كلامه * وأيقن بحمق المرء ان كان مكثرا

وقال آخر

النطق زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

ومما يزيد في الرزق أن يقول كل يوم بعد انشقاق الفجر الى وقت الصلاة سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه مائة مرة وأن يقول لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم صباحا ومساء مائة مرة وأن يقول بعد صلاة الفجر كل يوم الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله ثلاثا وثلاثين مرة وبعد صلاة المغرب أيضا ويستغفر الله تعالى أربعين مرة بعد صلاة الفجر ويكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يوم الجمعة سبعين مرة اللهم اغنني بحلالك عن حرامك واكفني بفضلك عمن سواك ويقول هذا الثناء كل يوم وليلة أنت الله العزيز الحكيم أنت الله الملك القدوس أنت الله الحليم الكريم أنت الله خالق الخير والشر أنت الله خالق الجنة والنار عالم الغيب والشهادة عالم السر وأخفى أنت الله الكبير المتعال أنت الله خالق كل شئ واليه يعود كل شئ أنت الله ديان يوم الدين لم تزل ولا تزال

أنت الله لا إله إلا أنت أنت الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا أحد أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أنت الله لا إله
إلا أنت الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
لا إله إلا أنت الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له
ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم * ومما يزيد في العمر
البر وترك الاذى وتوقير الشيوخ وصلة الرحم وأن يقول حين يصبح
ويمسي كل يوم ثلاث مرات سبحان الله ملأ الميزان ومنتهى العلم
ومبلغ الرضا وزنة العرش والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وأن يحترز عن
قطع الاشجار الرطبة الا عند الضرورة واسباغ الوضوء والصلاة
بالتعظيم والقران بين الحج والعمرة وحفظ الصحة ولا بد من أن
يتعلم شيأ من الطب ويتبرك بالآثار الواردة في الطب
الذي جمعه الشيخ الامام أبو العباس المستغفري
رضي الله عنه في كتابه المسمى بطب النبي صلى
الله عليه وسلم يجده من يطلبه والحمد لله
على التمام * وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم الرسل الكرام * وآله
وصحبه الائمة الاعلام
* على ممر الدهور
وتعاقب الايام
آمين

م

يقول

يقول الفقير الى مولاه المتفرّد بالقدم والبقا * مصطفى وهبي مصحح الكتب التركية بالمطبعة الميرية سابقا * بحمد الله قد تمّ طبع هذا الكتاب المستطاب الجليل * المنبسط في رياض العلوم ظله الظليل * بمطبعتي التي انشأتها مني يد العجز والافتقار * مستمدّا من فيض الله الجزيل المدرار * وهو أوّل كتاب افرغ في قالب الطبع بالمطبعة المذكوره * جعلها الله بمحاسن الصحة معمورة مشهوره * وقد اتيت في تصحيح هذه النسخة الجميلة المليحه * ومقابلتها على النسخ الصحيحة * بما تطرب به نفوس الالبا * وتنشرح به صدور الاحبا * لاني ولله المنّة طالما شغفت بنشر الكتب الجليلة التي يبحث عنها كل فاضل فهامه * لكن بشرط الصحه والسلامه * فساعدتني المقادير بانشاء هذه المطبعه * التي هي لمن يرجو دقائق العلوم اكبر منفعه * وأنا اسأل الله أن يوفقني لما فيه كل الخير * وأن يكفيني من أعين الحساد كل شرّ وضير * فقد بلغني بفضله في هذه المطبعة ما اتمناه * لا أحصي ثناء عليه فيما أولاه * واسأله حسن الختام * بجاه النبيّ عليه الصلاة والسلام * ولما لاح بدر تمامه * وفاح مسك ختامه * قلده ولدنا النجيب محمد ماجد * وفقه الله لاحسن المقاصد * بعقد من فرائد اللآل * حيث أرّخه فقال

العلم روض يانع للمجتني * وجناه أشهى ما اقتناه المقتني
لكنه ما شمّ نفحة طيبه * من رامه بسوى الطريق الممكن
كتعلم الآداب من هذا الذي * جادت غروس هداه بالثمر الهني
فاشكر جميل الطبع وانشد أرّخوا * يكتسب التعليم بالطبع الجني

٤٩٣ ٥٨١ ١١٤ ٩٤

سنة ١٢٨١

وكان تمام طبعه وتمثيله * وايناع ثمر طلعه وتشكيله * فى اواسط
صفر الخير لسنة احدى وثمانين بعد المائتين وألف *
من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف *
صلى الله عليه وعلى آله * والناسجين
على منواله * ما لاح
بدر تمام * وفاح
مسك ختام
آمين

م